الأهرام

المصدر: الوطن السعودى

التاريخ : ٢٨ اغسطس ٢٠٠٢

لماذا التباكي على وحدة السودان؟

بعد الجولة الأولى من المفاوضات بين الحكومة السودانية وحركة التمرد في مشاكوس، ومع انطلاق المفاوضات فيها ثانية يوم 2002/8/12م، كثر الحديث عن السودان، وتباينت وجهات نظر المحللين الشأن السوداني بين راضٍ عن الاتفاق، مؤيدٍ له، وبين ناقم عليه... أو شامتٍ متسائل عن دوافع هذه المفاوضات في هذا الوقت بالذات، ومن يقف وراءها وما مصير السودان بعدها.

أما غالبية الشعب السوداني، القابضة على جمر القضية فقد رحبت بالاتفاق، عساه يوقف نزف الدم لحرب استمرت منذ عام 1955م، زرع المستعمر الغربي بذرتها وانصرف، لكنه لم يفتأ يصب الزيت على نارها كلما رآها تخمد.

فمشكلة - الجنوب- لمن ينظر إليها متجرداً من الذاتية والمطامع والأحقاد والأهواء، هي سرطان السودان، فهي التي حولت هذا البلد الغني بثرواته الطبيعية والبشرية إلى واحد من أفقر دول العالم، وهي التي عطلت التنمية، وتسببت في عدم استقرار الحكومات المتوالية، وجعلت السودان عرضة للتدخلات الخارجية، وهي التي أزهقت أرواح قرابة مليوني سوداني من خيرة أبنائه، وشردت ملايين آخرين، ناهيك عن الأسرى والمفقودين، ومازالت الأرض بسببها حبلى بالألغام تنتظر مَن أو ما يطؤها...

والشعب السوداني - بمختلف قطاعاته - أعلم بقضيته لذلك بارك للحكومة سعيها الدؤوب لتحقيق السلام، فهي تفاوض منذ ولادتها ولا تنسى في ذات الوقت البندقية، ولم تخب ظنونها - فعندما كانت المفاوضات الأولى تتقدم في مشاكوس حاولت حركة التمرد الاستيلاء على مناطق النفط لتحقيق مكاسب على الأرض، لكنها رُدعت وبشدة. وهذه الحكومة لجديتها في الحرب كنست حركة التمرد في عام 1993م، إلى حدود يوغندا بعد أن استولت على قيادتها في مدينة توريت ولم يحل دون قطع دابر المتمردين إلا أمريكا التي دعمت التمرد والمعارضة وألبت - دون مواربة - بعض دول الجوار على الحكومة السودانية ومنحتها ملايين الدولارات لحصارها، في تلك الأثناء أصبح الجيش السوداني لا يدري إلى أين يذهب فالخطر أتاه على امتداد حدوده الجنوبية والشرقية - بل وحتى الشمالية!!

والمعارضون السودانيون لاتفاق مشاكوس الذي لم يولد بعد اختلفت مشاربهم وإن جمعتهم صفة المعارضة فهم تجمُّع جمع شيوعيين وعلمانيين وآخرين سجل التاريخ أنهم صوتوا يوم استغلال السودان - ومن داخل البرلمان ضد استقلال السودان، هذه المعارضة يمثل لها انخلاع قرنق عنها بحركته انخلاع الأضراس من الفم، الذي أصبح أهْتم يوم تخلى حزب الأمة عنها، فهي لم تشكل وجبهتها الشرقية خطورة تذكر، وحتى حينما حاولت قوات قرنق التوغل معها من الشرق في أرض مكشوفة لا غابات فيها تجرعت الهزائم الواحدة تلو الأخرى.

أما المعارضون غير السودانيين لاتفاق مشاكوس فهم يتباكون على وحدة السودان مظهراً، ويبكون على مصالحهم - باطناً - التي ما رعوها حق رعايتها يوم كانوا ملاذاً للتمرد كما الغرب الداعم لهم وله، والذي يعنيهم الآن ليس معاناة السودان التي دامت في صمت بل إذا انفصل الجنوب وشكل دولة مستقلة فإن مياه النيل ستهدد، وستأتي إسرائيل لتبني قواعد هناك وتهدد الدول العربية المهددة أصلاً... وهم يكررون أن وراء ذلك تدخلاً من الغرب وربما صدقوا في ذلك لكنهم نسوا أو تناسوا أنهم هم أيضاً كانوا ذات يوم أداة له حينما قويت بهم شوكة التمرد بعد أن كادت تخلع... ونسوا أيضاً أن إسرائيل مازالت موجودة في أرتريا جارة السودان شرقاً وبتعاونهما كان احتلال حنيش، وهم لا يدركون ربما أن كل تلك الأمور لا تخفى على السودانيين الذين فضلوا الانفصال -إذا قُدِّر - على الحرب التي تدور رحاها على أراضي سبخة، تحت غابات استوائية كثيفة، في ظروف محلية وإقليمية ودولية بالغة التعقيد، فالانفصال، إذا أخذنا كل هذه المعطيات، أقل الخيارين مرارة.

الحبر عبدالوهاب أبوطالب
- السودان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية